عقيدة السلف واهميتها

لفضيلة الشيخ:

د. سعود بن عبدالعزيز خلف الخلف

حفظه الله تعالى ووفقه

مع تحيات

إذاعة طلاب العلم الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضلَ له ومن يُضلل فلا هاديَّ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فهذا الدّرس السّادس في هذه الدّروس التي نُلقيها من خلال هذا البرنامج أسألُ الله تبارك وتعالى أن نُوفقَ إلى ما فيه السّداد والقول النّافع بإذن الله تعالى فهذا الدّرس السّادس في هذا اليوم الموافق الثامن عشر من شهر ذي الحجة لعام 1441هـ. نسأل الله تبارك وتعالى التوفيقَ والإعانة..

كنا تحدثنا في الدّروس الماضية عن – لماذا يجبُ على المسلم أن يعتقد عقيدة السّلف، ويلتزم بعقيدة السّلف؟ وذكرنا أن الله تبارك وتعالى أمر بذلك، وذكرنا النّصوص الدّالة والموجبة للالتزام بمنهج السَّلف والذين هم الصَّحابة رضوان الله عليهم، ومن سَلك سبيلهم من التابعين، ومن تبعهم بإحسان، وذكرنا أن الله تبارك وتعالى قد صحح طريق الصَّحابة ورضيهُ، وقبلَ منهجهم، ووعدهم عليه الجّنة كما قال: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

ثم ذكرنا بعد ذلك الأدلة التي يجبُ على المسلم التي التزم بها السَّلف، وأنهم أقاموا اعتقادهم على كلام الله عز وجل، وكلام رسوله، ولا يقدمون على كلام الله عز وجل، ولا على كلام رسوله صلى الله عليه وسلم رأيًا، ولا هوى ثم ذكرنا المخالفين لمنهج السَّلف وقلنا أنَّ المخالفة وعدم الأخذ بقول السَّلف يوقعك في واحدةً من هذه البدع الخطيرة التي بعضها قد تكادُ أن تكون خروجًا من الإسلام، وأقلها يكون ولُوغًا في البدع – نسأل الله المعافاة – وذكرنا من الفرق المنحرفة عن منهج السَّلف منهم الخَّوارج وذكرنا موقفهم من مرتكب الكبيرة وقلنا إن الخّوارج قد ضلوا في هذا الباب وكفّروا مرتكب الكبيرة، واستباحوا دمه، وحكموا عليه بالخلود في النّار؛ فكلُ عاقلٍ من المسلمين يدركُ أنه من بديهيات الشّرع أنه تعامل مع المسلمين عمومًا المحسن والمسيء، وحتى مرتكب الكبيرة على أنه مُسلم ليس خارجًا من الإسلام بارتكابه ذنب؛ لأن الإسلام قد رتب الحدود الشّرعية على الذنوبِ فلو كان ارتكاب الذّنوب مخرج للإنسان من الإسلام ما احتاج أن يُرتبَ عليه حدودًا شرعية، وإنما كان الواجب أن يُوجب قتل كل مُرتكبًا للكبيرة لأنه كَفرَ؛ ولكن الشَّارع لم يفعل ذلك؛ مما دَّل على أنَّ مرتكب الكبيرة لا يكفر ما لم تكن الكبيرة مسألة كفرية أمّا الذّنوب التي قد تقع من بعضِ النَّاس هذه ذُنوبٌ لا تخرجهُ من الإسلام، وإن كانت تجعله على خطرٍ لأن أهل العلم يقولون: "أن المعاصي بريدُ الكُفر". ولكن فرق بين أن نقول كافر وبين أن نقول مسلمٌ عاصي ثم ذكرنا أيضًا أنهم بهذا التكفير – نسأل اللهَ العَافية – هؤلاء الخّوارج استباحوا دماءَ المسلمين فولغوا في دماءِ المسلمين فوقعوا في الورطة التي لا يخرجون منها – نسأل اللهَ العَافية – وتكونُ عليهم وبالًا في الدُّنيا والآخرة؛ لأنه إذا حكم بكفرِ المسلم ثم فوق ذلك يستبيح دماءهم – نسأل اللهَ العَافية – فمعنى ذلك أنه وقعَ في أعظمِ ورطة كما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه: "إن من ورطات الأُمور الوقوع في الدّمِ الحرام".، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك: "لا يزال المسلم في فسحة من دينه مالم يُصِب دمًا حرامًا".

أي أنه يكون المسلم في فُسحة أن يذنب، ويتوب، ويرجع؛ لكن إذا وقعَ في الدَّمِ الحرام فقد سقط في بئرٍ لا يكادُ أن يخرج منها – نسأل اللهَ العَافية – بعيدٌ قعرها، خبيثٌ ريحها، ليس له أمل في الخروج من هذا القعر البعيد – نسألُ اللهَ العَافية – إلا أن يشاء الله عز وجل؛

لأن الدَّم والجناية على المسلم في دمه – نسألُ اللهَ العَافية – هذه تفتح على الإنسان أبواب من الشرور لا يعلم بها إلا الله سبحانه وتعالى – نسأل الله أن يُعافيّنا والمسلمين من ذلك – ما الذي أورثهم هذا الموقف؟ هذه الدّعاوى الباطلة، والانحراف عن منهجِ السَّلف .

وبيّنا أن من ضمنِ هؤلاء الإخوان المسلمين الذين تبنوا الخروجَ على الأئمة واستباحوا دماءَ الأئمة بعد أن كفروهم فلا تجدُ أحدًا منهم إلا وهو يكفر حُكام المسلمين، وبعد ذلك لما كفروا حُكام المسلمين خرجت منهم طوائف كفّروا عمومَ المسلمين كالدّواعش، وأصحاب والقّاعدة، والنُّصرة، وهذه الفِرق الفَّاسدة كفّرت عمومَ المسلمين واستباحت دمائهم – نسألُ اللهَ اللّطفَ والمعَافاة – وكما يقال فعلوا ذلك تبرعًا بدون أن يكون لهم أي مصلحة لا في دينهم ولا في دُنياهم، ومن غير أن يصلوا إلى أي مصلحة؛ وإنما فقط فكرٌ فاسدٌ في الرؤوس، ونظرةٌ فاسدةٌ، وتصّورات فاسِدة، وأطماع لن يبلغوها بارتكاب هذه الجرائم – نسأل الله اللطفَ والمعافاة – لهذا أول ما يرتدُ السَّيفُ عليهم فيمحو الله عزوجل أثرهم من الأرض ولله الحمد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلما ظهرَ منهم قرنٌ قُطع ".

وهذا الذي عوّدنا ربنا تبارك وتعالى في هذه الفئة الفاسدة، والحاقدة على أمة الإسلام بعد هذا تكلمنا عن المقابل لهذه البِّدع لأن هذه البِّدع.. البِّدع عمومًا ستجد فيها طرفان: طرفٌ مفرط، وطرفٌ مُفرط والحقُ بينهما وهو منهج السَّلف فقابل بدعة الخوارج بدعة المرجئة والمرجئة ذكرنا أنهم يُمكننا أن نقسمهم المرجئة إلى أربعة أصناف:

١– مرجئة الجهمية الذين يقولون أنّ الإيمان هو المعرفة.

٢– مرجئة الأشاعرة الذين يقولون أنّ الإيمان هو التصديق.

٣– مرجئة الأحناف الذين يقولون أنّ الإيمان القول والتصديق.

٤– مرجئة الكرامية الذين يقولون أنّ الإيمان الإقرار باللسان دون القلب.

هذه هي أقوال المرجئة في الإيمان، وقلنا إن السَّلفَ يقولون إن الإيمان قولٌ، واعتقادٌ، وعملٌ يزيد بالطّاعة وينقص بالمعصية ويجعلون الإيمان كلمةً عامةً تشتمل على الدّين كله سواءً كانت الطّاعات الواجبة والمندوبة، وأن الإيمان كالشجرة، والشجرة قد يسقط شيءٌ من أوراقها وقد يُقطع شيءٌ من أغصانها لكنها تكونُ ثابتة ولا يخرج الإنسان من الإيمان إلا إذا قطع الشجرة من أساسها؛ أمّا هؤلاء فإنهم في الحقيقة لم يجعلوا للإيمان هذه الأَغصان، وهذه الأَوراق، وهذه الآثار، والثمرات لم يجعلوه؛ إنما جعلوه شيءً واحدًا إما تصديقٌ أو معرفةٌ أو إقرارٌ باللسان مع المعرفة والتصديق أو الإقرار باللسان، وهؤلاء كلهم يجتمعون على أنهم يخرجون العمل عن مسمى الإيمان فلا يُدخلوه في مسمى الإيمان، ولا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه وكل ذلك سَبق أن دَللنا على أن الإيمان قولٌ، واعتقادٌ، وعملٌ وأنه يزيدُ بالطّاعة، وينقص بالمعصية، وذكرنا الأدلة على هذا؛ فإذًا هؤلاء الناس خالفوا المنهجَ الشرعي الذي جاءت به النصوص وهو أن الإيمان قولٌ، واعتقادٌ، وعملٌ وأنه يزيدُ بالطّاعة، وينقص بالمعصية وأن أهله يتنافسون في الأعمال الصَّالحة لتكون غدًا مجال تنافسهم في الدرجاتِ عند الله تبارك وتعالى؛ لأنه: "فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" – نسأل اللهَ اللطفَ والمعَافاة – فالدّرجات على قدر الأعمال والمرجئة قد يستدلون ببعض الأَدِّلة وسَبق أن ذكرنا أدلة أهل السُّنة حتى يتبين أن المبطلين، وأن المخطئين، وأن المخالفين للشرع وإن ظنوا أنهم يستدلون ببعض الأَدلة لكن أدلتهم أو استدلالاتهم في الشرع مردودة عليهم ليست صريحةً فيما يقولون فإن الأحاديث والروايات التي سبق ذكرها واضحة الدلالة على هذا.. فيستدلون مثلًا وهو أقوى أدلتهم في الحقيقة هو دعواهم في مسألة أن الإيمان في اللغة هو التصديق، وأنه كذلك هو في الشرع التصديق – يعني يقولون أن الإيمان في اللغة

هو التصديق وفي الشرع كذلك التصديق الشرع جاء باللغة العربية ولم يأتي بلغةٍ أخرى كما قال الله تعالى:" إنا جعلناه قرآنًا عربيًا ".
والإيمان في اللغة التصديق فالتالي يكون الإيمان في الشّرع التصديق هذا القول أو هذا الاستدال في الحقيقة باطل وسيأتي وجه بطلانه. – لأنك أنت تستدل في اللغة هنا وتحكم بها على الشرع وسيأتي الإشارة في ذلك ويستدلون بدليل آخر يقولون إن الله تعالى فرّق بين الإيمان والعملِ الصَّالحِ وذلك بقوله تعالي:" وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ، وفي آياتٍ عديدة يقول:" الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " فمَا دَامَ أنه فرّق بينهما بالعطف والعطف يقتضي المغايرة يقتضي مثلًا الإيمان غير العمل الصَّالح.
ويستدلون أيضًا بقوله تعالي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"
فيقولون إن الله تبارك وتعالى خاطبَ المسلمين بوصف الإيمان قبل أن يُوجب عليهم الأعمال فدّل هذا على أنهم مؤمنون قبل أن تجب عليهم الأعمال فلا تكون الأعمال من الإيمان.
نقول أنَّ هذه الاستدلالات كلها في الحقيقة استدلالاتٌ لا تصحُ ولا تقوم للأدلة الصَّريحة الواضحة التي يقول بها أهل السُّنة؛ أمَّا استدلالهم باللغة فإن قولهم فنرد عليهم بردٍ مختصرٍ عليهم وهو أننا نتكلم في الإيمان بالمعنى الشّرعي وليس بالمعنى اللغوي لأنك لو سَألتَ هذا المرجئ عن معنى الصَّلاة في اللغة ومعناها في الشرع هل بينهما فرق؟ فلو قلت له إن الصَّلاة هي الدَّعاء فإذا أمرني الله بالصَّلاة فقال وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فأنا أتي على الدَّعاء وأدعو إذا جاء وقت الظُّهر دعوت وانتهيت هل هذا الدعاء يكون صلاةً شرعيةً؟ لا.. لا تكون صلاةً شرعيةً.. لماذا؟
لأن اللغة وإن كانت وعاء الشرع؛ لكن الشارع استخدم الألفاظ اللغوية استخدامًا خاصًا مثل أي صاحب صنعة وأصحاب المهن وأصحاب السِّياسة يستخدمون الألفاظ والمصطلحات فكذلك الإيمان لما جاء في كلام الله عز وجل أدّركنا أن الله تبارك وتعالى يريدُ منا تحقيقَ هذا المصطلح ثم سألنا الله عز وجل أو سألنا الرسول صلى الله عليه وسلم أو سألنا أهل الإسلام ماذا يعنى بكلمة الإيمان؟ فإذا بالله عز وجل يشرحها لنا، يشرحها لنا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فلما شُرحت فإذا بهذا الإيمان يشتمل على جميع الأمور الواجبة والمندوبة ويدخل فيه القول، والاعتقاد، والعمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان". لهذا قام الحَليمي رحمه الله ومن بعده قام البيهقي رحمه الله بشرح هذا الحديث في كتاب المِنهاج في شعب الإيمان للحليمي وكتاب شعب الإيمان للبيهقي وهما من الكتب الموسوعية في هذا.
فذكروا هذه الشُّعب التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هنا إشارة مختصرة الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان فشرحوا هذه الشُّعب الكثيرة بذكر هذه الشُّعب شُعبة لا إله إلا الله، شعبة الصَّلاة، شعبة الزَّكاة، شعبة الحج، شعبة الصّوم، شعبة بر الوّالدين، شعبة الجهاد، شعبة الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.. وهكذا يعني ذكروا أعمال الإيمان منها ما هو عملٌ قلبي، وقول باللسان، وعمل بالجوارح فإذًا حينما يدّعي هؤلاء الأشاعرة أو الأحناف أو الجهمية أن الإيمان في اللغة أن الإيمان هو التصديق وهو كذلك في الشرع فهذا في الحقيقة إغفالٌ منهم للمنهجية التي صَار عليها كل علماء الإسلام حتى هم حين يذكرون هذه الأمور فيما يتعلق بالفقه مثلًا فيقولون الزَّكاة في اللغةِ النماء؛ ولكنها في الشرع هي هذه الزكاة التي تُدفع بناءً على شروطٍ بذات المال وشروطٍ تتعلق بالوقتِ وشروط تتعلق بالمتصدق عليه وهكذا فإذًا هذه هي الزكاة في الشرع وليست الزكاة في الشرع هي النماء، كذلك الصُّوم.. الصُّوم في اللغة الإمساك وفي الشرع هو إمساكٌ مخصوص في وقت مخصوص

عن أشياء مخصوصة فإذًا كذلك الإيمان ليس هو مطلق التصديق أن تصدق أن السَّماء فوق وأن الأرض تحت وأن الشمس تطلع في الوقت الفلاني وتغيب في الوقت الفلاني ليس هذا المقصود.. المقصود هو تصديقٌ مخصوص وأضاف الشارع على التصديقِ أعمالٌ مخصوصة وأقوالٌ تدخل كلها تحت نطاق التعريف تعريف الإيمان الشرعي فإذًا ليس لأحدٍ أن يقول أو أن يستدل بالإيمان في اللغة ويقول هو المقصود في الشرع إلا إذا الشّارع لم يعطنا بيانًا لأي معنى بما يتعلق بهذا اللفظ مثل قوله تعالى: "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" فالله تبارك وتعالى هنا يقول إن له يدان وأنه خلق بيده سبحانه وتعالى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام هذا اللفظ في اللغة معروفٌ وهو في الشرعِ هكذا ما عندنا له معنى أخر نثبته لله عزوجل كما أثبته لكن لا نُشبه ولا نُمثل لكن ليس عندنا إضافات على المعنى الذي قصد ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى:" ينزلُ في الثلث الأخير من الليل إلى السّماء الدنيا ".فالنزول في اللغة معروف بمعنى النزول من فوق إلى أسفل هذا معنى النزول وإذا جئنا للمعنى الشرعي نقول النزول بالنسبة لله عزوجل كما ذكر الله عزوجل نزوله إلى السّماء الدُّنيا لو أردت أن أفسره أو أي أحد من الناس أن يفسره فإنه ليس لا يستطيع أي أحد أن يفسره بأكثر من بيان معناه اللغوي لأن الله عزوجل لم يشرح لنا عن هذا النزول إلا أنه نزولٌ مخصوصٌ من قبل الله تبارك وتعالى في وقتٍ مخصوصٍ ويقول الله عزوجل في ذلك هذا الكلام الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا فإذًا الاستدلال باللغة استدلالٌ باطل وهو من أقوى حججهم ولكن الحقيقة حتى مع أن مسألة الإيمان في اللغة هو التصديق أهل العلم يقولون أن الإيمان في اللغة ليس التصديق فقط؛ بل الإيمان قد يأتي على معنى الأمانة يعني أن تُصدق وتأمنه وهكذا ويقولون إن لفظَ الإيمان يتعدى باللّام ويتعدى بالباء أما لفظُ التصديق فلا يتعدى باللّام إلا نادرًا ويتعدى بنفسه صدقه أو بالباء يتعدى بالباء لكنه لا يتعدى باللام مما يدل على الفرق بينهما وأيضًا لفظ الإيمان وهذا يذكره أهل العلم في بيان الفرق بين اللفظين هل هو لفظ الإيمان أو التصديق كلاهما مترادفان أم ليس مترادفين؟ فقالوا إن لفظ الايمان يقابله لفظ الكفر فيقال آمن ويقابله كفر والتصديق يقابله كذّب ولا يقابله كفر فإن التَصديق يقابله التكذيب وليس الكفر وأن لفظ الإيمان لا يُستعمل إلا في الخبر الغائب أمّا التصديق فيستعمل في الخبر الغائب، والمشاهد فإذا قلتَ آمن بالله، وملائكته.. نعم هذا صَحَ وصَحَ أيضًا أن يقال آمن وصدّق لكن التصديق لا يُقال إلا عن الخبر الغائب والمشاهد فيقال لمن قال الله موجود أو السَّماء فوقنا صَدقَ أمّا الإيمان فإنه يُستعمل في الخبر عن الغائب هذه من الفوارق التي يذكرها أهل العلم هنا في مسألة استدلال الأشاعرة أو استدلال المرجئة بالإيمان اللغوي وجعلهم الإيمان في اللغة هو الإيمان في الشرع، ويريدون أن يجعلوا المصدق هو المؤمن، وأيضًا من أدلتهم هو زعمهم أن الله تبارك وتعالى عطَفَ الأعمال الصَّاحة على الإيمان مما يدل على أن بينهما فرق وأنهما متغيران فليست الأعمال الصَّالحة داخلة في الإيمان، وهذه أجاب عنها العلم وبيّنوا أن المغايرة فالحقيقة بين المعطوف والمعطوفِ عليه نعم واقعة لكن المغايرة على مراتبِ منها ما يكون المعطوف والمعطوف عليه متباينين أي أن المعطوف غير المعطوف عليه كما في قول الله تبارك وتعالى:" خلق السموات والأرض"، وقوله:" وأنزل التوراة والانجيل ". فالتوراة ليست هي الإنجيل وليست هي الفرقان والسَّماوات غير الأرض وهكذا..

أو يكون بينهما لزوم يعني يعطف متعاطفات بعضها على بعض لأمرٍ تشترك فيها جميعًا كما في قول الله تبارك وتعالى:" ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدًا".

يعني أنَّ الكَافر بواحدٍ من هذه كافرٌ بالكل فهذه ليس الإيمان بالله كالإيمان بالملائكة، ولا الإيمان بالملائكة كالإيمان بالكتب، ولا الإيمان بالكتب كالإيمان بالرّسل؛ ولكن بينها لزوم وهو أن الكفر بواحدٍ منها كفرٌ بالجميع.

وأيضا من أنواع العطف يقولون عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصّفتين يعني أن بينهما تغاير من ناحية الصّفة وإن كانت تكون مشترك بينهما من وجهٍ أخر؛ ولكن العطف يقتدي الاختلاف في الصّفتين كما في قول الله عز وجل:" سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي ". فالذي خلق فسوى والذي قدر فهدى عطفٌ أي عطفَ الذي قدر فهدي على الذي خلق فسوى وهما صفتان مختلفتان

النوع الأخير وهو الذي يهُمنا هنا وهو عطفٌ بعض الشيء عليه يعني بعض الشيء يستخلص من المجموعة ويعطف على الكل ولا يعني أنه ليس داخلًا في الكل بل هو جزءٌ من الكل ولكن عُطف عليه للعناية به أو التنبيه أو شحذ الهمم للفت الانتباه لهذا الشيء كما في قول الله عز وجل:" حافظوا على الصلوات والصّلاة الوسطي ".

فعطف الصَّلاة الوسطى على الصَّلوات مع أن الصَّلاة الوسطي من الصَّلوات يقينًا ولكن ذكرها للتنبيه عليها وكذلك قول الله تبارك وتعالى:" تتنزل الملائكة والروح فيها ". والروح هنا هو جبريل وجبريل واحدٌ من الملائكة ولكنه عطفه على الملائكة للتنبيه على مكانه ومقامه.

فإذًا العملُ الصَّالح عطفه علي الإيمان من هذا الجنس من عطف بعض الشيء على الكل أو عطف الجزء على الكل من أجل أن ينبه عليه ومن المعلوم أن الإيمان إذا قلنا إن المقصود في قول الله عز وجل إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات إذا قصدنا أن الإيمان هنا التصديق فإن التصديق يشتمل أو الإيمان هنا يشتمل جميع الأعمال وجميع الطَّاعات فإنه يعطفها هنا للتنبيه على أهميتها لأن العمل هو تصديق الإيمان كما قال الحسن البصري رحمه الله وإن كان هذا الأثر ليس قويًا عنه يقول:" ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقرَّ في القلب وصدقته الأعمال".

فإذًا هذا الاستدلال وهو استدلالهم بقول الله تبارك وتعالى:" الذين امنوا وعملوا الصالحات ". أنه عطف في مواضع في مواضع عديدة العمل الصّالح على الإيمان مما يدل على التغاير استدلالٌ باطلٌ من المرجئة وأن الصحيح أن هذا من عطف من الجزء على الكل أو من عطف الشيء على نفسه لأجل أن ينبه على أهميته ومكانته والله اعلم.

بقي استدلالهم بأن الله تبارك وتعالى خاطب المؤمنين باسم الإيمان قبل أن يفرضَ عليهم الأعمال فنحن نقول إن هذا مثل قول الله تبارك وتعالى:" يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ".

نقول إنما خاطبهم باسم الإيمان باعتبار ما آمنوا به فالذي آمنوا به من الشهادتين والذين آمنوا به من وجوب الصَّلاة والذين آمنوا به من وجوب الزَّكاة استحقوا به اسم الإيمان فلما أضافَ أو أَرادَ الله تبارك وتعالى إضافة شريعة أخرى أو فريضة أخرى فخاطبهم بما كانوا آمنوا به وليس معنى ذلك أنه خاطبهم باسم الإيمان الكاملِ الذي قد كَمُلت له الشرائع وأن الشريعة بالنسبة لهم هي التصديق فقط ولذلك خاطبهم باسم التصديق فقط.

لا نحن نقول خاطبهم بوصف التصديق وما كانوا قد آمنوا به؛ أمَّا لو أنهم قالوا نحن نؤمن بشهادة أن لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ولا نؤمن بالصَّلاة هل يمكن أن يكونوا مؤمنين؟ لا، وإذا قالوا نزلت الزَّكاة وقيل لهم آمنوا بالزَّكاة وأدُّوا الزَّكاة قالوا لا نؤمن بالزَّكاة لكانوا بذلك كفار ولم يخاطب المسلمين، ولكنه خاطبهم باسم الإيمان الذي كانوا عليه واستجابوا لله تبارك وتعالى فهنا الله تبارك وتعالى خاطبهم بوصف ما كانوا به مؤمنين.

فإذًا هذه الاستشهادات من المرجئة في الحقيقة هي استشهادات باطلة وردها أهل العلم والأدلة التي ذكرها أهل العلم في بيان حقيقة الإيمان وأنه مشتملٌ على جميع الطَّاعات الواجبة والمندوبة وأنه يزيدُ وينقصُ هذه لا مدفعَ لها في الحيقية، ولا يمكن أن يدفعها هؤلاء المرجئة بهذا الموقف الذي قالوه وحددوه في مسألة الإيمان.

بقي أن نشير إلى مسألة مهمة جدًا وقد تختلط على بعض الناس وهو قول المرجئة في وجوب العمل الإرجاء في الحقيقة على نوعيين: في موقف من الأعمال.. الأعمال التي هي الصَّلاة والزكاة والصّيام والحج وغيرها ويدخل فيها أيضًا تجنب الفواحش والقبائح والكبائر وما إلى ذلك.

هل المرجئة لما قالوا إن الإيمان التصديق لا يجيبون العمل أم يُجيبونه؟ الحقيقة أن المرجئة على قولين:

القول الأول: وهو قول غلاة المرجئة وهؤلاء هم الذّين يزعمون أن العملَ غيرُ واجب ويدّعون أن المؤمنَ مهما ارتكب من المعاصي فإنه متحققةٌ له النجاة يوم القيامة ويقولون قولةً مشهورة ويعرفها كثيرٌ من الناس " وهو أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ كما لا ينفع مع الكُفر طاعةٌ " ولكن هذا القول هو قولُ الغلاةِ فقط ولا أعرف له قائلين مُعينين تُنسب إليهم هذه المقالة إلا أُناس قيل لهم اليونيسة أو أصحاب يونس أو أصحاب عبيد المكبت فهذا الذِّين عادَ إليهم الأشعري في المقالات هذا الأمر وهو أنهم لا يُجيبون العمل؛ أمّا أحد من أهل العلم وإلا المكانة في الدّين وإلا المشهورين فلَّا يقولون بهذا يعني وهم المقصودُ بهم الفرقة الثانية وهمّ غيرُ الغُلاة من المرجئة وهذا يدخل فيهِ غير الغُلاة من المرجئة كل الذّين ذكرناهم من الأشاعرة، والماتُريديةُ، والأحناف، والكرامية هؤلاء كلهم يُجيبون العمل هؤلاء ماذا؟ كلهم يجيبون العمل ويعتبرون أن مرتكب الكبيرة يوم القيامة على خطر كما نقول ليس بين قولنا وقولهم فرق فإنهم يرون أن مرتكب المعاصي إذا مات بدون توبة أو المخل بالواجبات إذا مات بدون توبة فهو تحت المشيئة إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه فهم إذًا يجيبون العمل و ينكرون على ما لا يرى العمل، وهذا خفف الخلاف بينهم و بين أهل السُّنة فصار الاختلاف بينهم وأهل السُّنة في المسمى و ليس في اللفظ كما يقول بعض أهل العلم يعني الخلاف لفظي لا ليس الخلاف لفظي لأن الخلاف اللفظي هو الذي لا يترتب عليه لوازم أخرى أما هذا خلاف حقيقي ولكنه خلاف في مسمى الإيمان وفي الزيادة، والنقصان وما إلى ذلك فهذا غير الغلاة وهم مرجئة الفقهاء والأشاعرة والماتريدية والكرامية كذلك يرون وجوب العمل وليس أنهم لا يرون وجوب العمل، ولا يقول أحد منهم إنهم لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة لا أعرف أحد منهم يقول هذه المقالة لأن هذه المقالة تتناقض مع حقيقة الإسلام تتناقض مع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله تتناقض مع رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أمَّا الغُلاة الذين أَشرت إليهم فيمكننا أن نشير إشارة مختصرة إلى استدلالاتهم الغُلاة وهذا يعني يحدث في هذا الزمان حقيقة بعض الناس قد يظن نفسه بأنه بشهادة أن لا إله إلا الله ينجو من عذاب الله وأنه تكفي شهادة أن لا إله إلا الله وهذا واردٌ عند كثيرٌ من العَوام وإذا قلت له كيف ذلك؟ قال الإيمان في القلب وقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله أو أنا مسلم أو من هذا الكلام هذا موجود عند الناس كظنون أو كاتهيؤات حقيقة لكن كمذهب يقول به أحد لا أعرف أحد يعني يقول بهذا صراحةً فقد يكون ظنون في نفسه أو تمنيات فهذا يأتي الشيطان ويُعطي الإنسان قال لأتينهم من بين أيديهم ومن خلافهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين.

فهو يُمني الإنسان ويُطمعه فيما ليس بحقه.. المهم أن هؤلاء المرجئة وقد يكون بعض الناس يستدل بهذا الكلام من العَوام أو من على شاكلتهم يستدلون بأحاديث الوعد مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري:" أشهد أن لا إله إلا الله أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " وفي رواية فيحجب عن الجنة وفي حديث عثمان وهو في البخاري أيضًا: " من مات وهو

يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة " وحديث عتبان ابن مالك: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار".

فهذه الأحاديث يُسميها أهل العلم أحاديث الوعد ولكن المسلم كما سبق أن ذكرنا في الكلام عن الخوارج لا يأخذ أهل السُّنة بشيءٍ من النصوص ويتركون النصوص الأخرى؛ لأن هناك نصوص أخرى تدلُ على أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويدخلون النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة نمام ". أو كما قال عليه الصلاة والسلام:" ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه النار ". وحديث من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار والأحاديث في هذا الباب كثيرة وهي أحاديث الوعيد، وأهل السُّنة يأخذون بالأحاديث كلها ويجمعونها ويأخذون بالمدلول الشرعي منها كلها ولا يرفضون شيء منها أما الخوارج فيرفضون أحاديث الوعد، والمرجئة يأخذون بأحاديث الوعيد ويتركون أحاديث الوعد أما المرجئة فيأخذون بأحاديث الوعد ويتركون أحاديث الوعيد؛ والصّواب هو أن تجمع بين ذلك وهو ما قاله أهل الإسلام

أن مرتكب الكبيرة الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.. ومات على التوحيد أنه تحت المشيئة كما دلّت الأدلة على ذلك

" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ".

أمَّا هذه الأحاديث فلهم أجوبة عنها إما أن هذه الأحاديث دلت على فضيلة هذه الأعمال يعني من مات على شهادة أن لا إله إلا الله وشهد بذلك الشهادة عند الموت فهو ينتفع بذلك فهذه إذا قررها مُقرًا بها حَريصًا على تطبيقها وكان هذا عند الموت فهذا ينفعه كما قال ذلك البخاري رحمه الله.

وأيضًا من أجوبة أهل العلم أن المراد بالجنة التي ذُكرت في هذه الأحاديث هي أنه يدخل الجنة ولا يمنع من الجنة ولكن يدخلها بعد أن يأخذ جزائه في النار إذا أراد الله تبارك وتعالى دخوله النار.

وأن المراد من تحريم دخول النار الذي قال النبي صلي الله عليه وسلم فتطعمه النار أو فيدخل النار إنما المراد في ذلك النار التي أُعدت للكفار وأن النَّار التي أُعدت للعُصاة من المؤمنين والموحدين تختلف عن ذلك

وجوابٌ أخر وهو عليه كثير من أهل العلم وهو أن لا إله ألا الله الواردة في هذه الأحاديث والشهادتان، وأن يكون الإنسان غير شاكٍ فيهما، وما غير ذلك أن هذا دليل عن فضيلة هذه الكلمة، وأنها سببٌ لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتدى لذلك..

لكن السّبب والمقتضى كما يقول أهل العلم لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه يعني ما يكون هناك مانع

نعم أنت بلا إله إلا الله تدخل الجنة مباشرة إذا لم يكن في أفعالك وأعمالك مانعٌ يمنعك من ذلك وهذا الذي عليه كثير من أهل العلم أن هذه الأحاديث ذكرت أن اليقين والإيمان بالله تبارك وتعالى سببٌ لدخولِ الجنة؛ ولكن إذا لم يمنع من ذلك مانع لهذا يقولون أن الحسن قال للفرزدق – والفرزدق كما هو معروف أنه شاعرٌ لما تُوفيت امرأته يعني امرأة الفرزدق– قال له الحسن: ما أعددت لمثل هذا اليوم؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سَنة قال الحسن: نعم العُدة. أي نعم العدة شهاده أن لا إله إلا الله؛ ولكن ل لا إله إلا الله شروط فإيّاك وقذف المحصنات لأنه من المعروف أن الشعراء قد يقعون في القذف من حيث يشرعون ومن حيث لا يشرعون – نسألُ اللهَ العَافية

– وقيل للحسن البصري إنَّ ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة. يعني ليس لا إله إلا الله فقط تقولها كلمةً بلسانك ثم تدخل الجنة بسببها مع ارتكابك للكبائر هذا إبطالٌ للأدلةِ والنصوصِ التي دلت على تحريم الكبائر وخطورتها على الإنسان وورد عن ابن منبه رحمه الله أنه قال:" لمن سَأله أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتح لك وإلا لم يُفتح لك" هذا جوّاب أهل عن معنى مثل هذه النصوص وأن الجوّاب الذي رجحه كثيرٌ من أهل العلم هو أن لا إله إلا الله مقتضى لدخول الجنة ولكن المقتضى والسبب لا يفعل فعله إلا إذا انتفت موانعه واستجمعت شرائطه، وهذا الذي رجحه القاضي عياض والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن حجر وكثيرٌ من الأئمة إنما رجحوا أن لا أله إلا الله لها أثرها وقيمتها مع تجنب السَّيئات أمّا إذا لم يتجنب الإنسان السَّيئات فإنه كما قال تبارك وتعالى:" إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ". فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء الله – نسأل الله العافية – عذبه؛ ولكنه لا يخلد في النار كما سبق ذكر ذلك ولكن هناك آثار في الحقيقة ذكرتها لقول السَّلف في الإيمان وهي أنها موافقة للكتاب والسُّنة وتستجيب لمتطلبات هذه المعاني التي ذكرها الله تعالى أو ذكرها رسوله فيما يتعلق بهذه المسألة كذلك هنا آثار لقول المرجئة فإن لهم آثار ليست محمودة في الإيمان من هذه الآثار مخالفة كلام الله تبارك وتعالى ومخالفة كلام النبي صلى الله عليه وسلم في تحديد الإيمان فإن الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم جعلوا الإيمان مشتملًا على الأعمال كما سبق أن ذكرنا إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّدقون ، والإيمان بضعٌ وسبعون شعبة وبضعٌ وستون شعبة لا يجوز أن تأتي وتقول لا الإيمان هو قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فتقول لا الإيمان قو قول لا إله إلا الله طيب والأحاديث الأخرى التي ذكرت والآيات الأخرى التي ذكرت قد أفلح المؤمنون الذي هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون .. إلى آخر الآيات. ماذا تفعل في هذا أليس من الإيمان؟ هذا هو من إشكالات هذه المقالة ومن إشكالات هذه المقالة أنها تجعل الفاسق مهما كان مرتكب للكبائر مؤمن كامل الإيمان لأنه جاء بالتصديق وأنهم في الحقيقة كما يقول المرجئة قد يدخلون النار مع أن الله عزوجل قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وقال تعالى قد أفلح المؤمنون والفُسّاق عند المرجئة داخلون في معنى قول الله تعالى قد أفلح المؤمنون أو قول الله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار فإذًا هذا كل الكلام والتناقض في الحقيقة يُزعم أن الفاسق كامل الإيمان ومع ذلك قد يدخل النار

– نسأل الله اللطف والمعافاة – كذلك أنهم وصفوا الفُسّاق بصفة المدح والثناء لأن الإيمان لفظ مدح كما قال تبارك وتعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وقول الله تبارك وتعالى قد أفلح المؤمنون هذا مدح مثل لفظ البر والتقي والصّالح فهذه الألفاظ هل يجوز أن تطلق على الفُساق؟ لا يجوز كذلك لفظ الإيمان لا يجوز ولكن بناءً على منهج المرجئة يجوز لأن الفُساق مؤمنون كاملوا الإيمان كذلك يلزم من قوهم مساواتهم بين أفسق الناس وأتقى الناس في المساواة في الإيمان يعني أن أفجر الناس يساوي ويُعادل في إيمانه إذا كان إيمانه تصديق أتقى الناس بل يساوى إيمان الملائكة وإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا باطلٌ الله تبارك وتعالى يقول أفنجعل الذين ءامنوا وعملوا الصَّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفُجار كذلك أن المرجئة تهاونوا في أعظم أصول الدّين بسبب هذه المقالة وهو أنهم قالوا أن الإيمان تصديق فإذًا هو أعمالٌ قلبية فلذا أخرجوا من الدّين من العقيدة الأعمال – أعمال الجوارح – فأخرجوا توحيد الألوهية من الكلام فيه بالمعتقدات فهذا من أخطر آثار الإرجاء أنهم أخرجوا الكلام في توحيد الألوهية عن المعتقد فلا تجد متكلمًا ذكر الأعمال التي هي توحيد الألوهية العبادات ودخولها في المعتقد ووجوب أن يكون الدّعاء لله، والذّبح لله، والنّذر لله

وتحريم الأفعال المعارضة للتوحيد والمناقضة للتوحيد لم يدخلوها في عقائدهم لماذا؟ لأنهم في الحقيقة اعتبروا الإيمان هو الاعتقاد ولا يدخل فيه العمل فأخلوا في هذا المطلب العظيم وهو أعظم مطالب الدّين وهو كما قال الله تبارك وتعالى" وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون " ومع ذلك أهمله المتكلون فبناءً على ذلك جهل المسلمون الآن توحيد الألوهية بل إنك تسمع من بعض المفتونين يقول ليس هناك شيء اسمه توحيد الألوهية كيف ليس هناك شيء اسمه توحيد الألوهية والألوهية هي العبادة لأن الإله هو المعبود وهذا معناه الصّحيح كما لعله ستأتي الإشارة إليه كيف يمكن أن تهمل توحيد الألوهية وما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا إله إلا انا فاعبدون فعبادة الله عزوجل هي كما يقول من الألف إلى الياء الدّين كله وهو المطلب كله لهذا كان الرسل يقولون أن اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره وأول أمر في القرآن يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم هذا أول أمر في القرآن الكريم في ترتيب القرآن فكيف نهمله – نسأل الله العافية – فأهمله ولا أرى سببً لذلك إلا انهم لما عرّفوا الإيمان قالوا هو التصديق والتصديق يتعلق بالعمل القلبي أو بالقلوب فأخرجوا من ذلك الأعمال فجّهلّوا بذلك المسلمين بأعظم المطالب الإلهية وهو توحيد الألوهية هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم المسلمين.